الإمام الحسين(ع) والإصلاح الشامل

<"xml encoding="UTF-8?>

الإصلاح هو هدف رئيس من أهداف الأنبياء والأئمة(عليهم السلام) فالمجتمعات البشرية بحاجة دائمة للإصلاح ، وتوجيه الناس نحو عبادة الله عز وجل، ومحاربة الفساد والإفساد، وإشاعـة القيم والمثل العليا،وتكريس مكارم الأخلاق ، وبناء جيل صالح ، ومجتمع راشد.

إن الأنبياء والأئمة(عليهم السلام) كانوا يسعون دوماً إلى إصلاح العقيدة،وإصلاح الأخلاق ، وإصلاح المجتمع ، وإصلاح الفكر والثقافة ، وإصلاح السلوك والعادات الفاسدة.

ورسالة الإصلاح هي رسالة الإمام الحسين(عليه السلام) التي من أجلها ثار ونهض وقدم نفسه وأهله وأصحابه فداء من أجل تحقيق الإصلاح الشامل في الأمة يقول الإمام الحسين(عليه السلام) وهو يعلن الهدف من ثورته:(وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رَدَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)(١).

وبهذه الكلمات البليغة أوضح الإمام الحسين(عليه السلام) الهدف من ثورتــه ، وهو الســعي من أجل تحقيق الإصلاح الشامل في الأمة ، وليس تحقيق أية مصالح شخصية ، أو السعي من اجل استلام السلطة ، إذ كان الإمام الحسين(عليه السلام) يعلم بأنه سيقتل في المعركة؛ ومن هنا تبرز عظمة الإمام الحسين(عليه السلام) ، حيث أنه ضحى بنفسه وبأهله من أجل تحقيق الأهداف السامية المتلخصة في الإصلاح الشامل،والقضاء على الفساد السياسي ، ونشر القيم والمبادئ والمثل.

إن أهم درس يجب أن نتعلمه من نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) هو الاستعداد لتقديم كل غال ونفيس من أجل الإصلاح في الأمة، فالإصلاح لا يمكن تحقيقه بالأماني والأحلام، وإنما يحتاج إلى إرادة وعزيمة، وعمل دائم ، ونشاط مستمر، واستعداد للتضحية بمختلف أشكالها من أجل الوصول إلى الإصلاح الشامل في الأمة.

وفي هذا العصر حيث كثر الحديث عن الإصلاح بمختلف أشكاله وأقسامه، يحتاج الإنسان إلى استخدام قدراته العقلية بذكاء من أجل التمييز بين الإصلاح الحقيقي الذي من أجله ثار الإمام الحسين ضد الواقع الفاسد، والإفساد الذي يُعنون بالإصلاح وقد أشار الله عز وجل إلى مثل هؤلاء بقوله عز من قائل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)(٢) فالمفسدون في الأرض من أجل نشر أهدافهم الخبيثة يرفعون شعار الإصلاح ، ويعتبرون أنفسهم من المصلحين، وما هم في الحقيقة إلا من عتاة المفسدين.

ولذلك ، يجب الانتباه لدعوات الإصلاح المزيفة التي تهدف ـ فما تهدف إليه ـ إلى نشر مبادئ الإلحاد والإفساد ، وإضعاف تمسك الناس بالدين، ونشر الخلاعة و السفور والتعري، والقضاء على قيم الأسرة والعائلة.

إن الإصلاح الذي تحتاج إليه الأمة في هذا العصر، وفي كل عصر هو الإصلاح الذي أعلن عنه الإمام الحسين (عليه السلام) وهو الإصلاح الشامل المشتمل على إصلاح العقيدة ، وإصلاح الأخلاق والسلوك، وإصلاح الثقافة والفكر والمعرفة، وإصلاح السياسة، وإصلاح الاقتصاد ، وإصلاح المجتمع، وإصلاح الإعلام ...إلخ .

ولاخيار أمام الأمة الإسلامية في الألفية الثالثة كي تتقدم وتتطور حضارياً إلا بتبني خيار الإصلاح الحقيقي القائم على أسس سليمة، والمنطلق من حاجات الأمة للإصلاح . أما الإصلاح المنطلق من رؤية الغرب لنا فإنه وإن رفع شعارات براقة وجميلة إلا أنه في المحصلة النهائية يريد الوصول لأهدافه الخاصة به والتي قد لايناسب بعضها ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية.وهنا يجب التأكيد على حقيقة هامة وهي أنه يجب علينا أن نبدأ عملية الإصلاح الشامل لمجتمعنا قبل أن يفرضه علينا الغرب برؤيته وفلسفته في ظل عولمة يراد فرضها على الجميع .

و يمكن تلخيص أهم مفردات الإصلاح الشامل والحقيقي الذي تحتاجه الأمة الإسلامية في مجموعة من العناوين كالدعوة إلى توسيع دائرة الحريات العامة، واحترام حقوق الإنسان، والحفاظ على الوحدة الإسلامية في إطار التنوع، وترسيخ العدالة الاجتماعية، والتوزيع العادل للثروة، وتكافؤ الفرص، والموازنة بين الحقوق والواجبات، وإشاعة ثقافة التسامح والحوار .. إلى آخر ما هنالك من مفردات مهمة في عملية الإصلاح الشامل والحقيقي .

وفي ذكرى استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) علينا أن نجدد الذكرى أيضاً مع الأهداف التي من أجلها ثار الإمام الحسين(عليه السلام) ضد الواقع المنحرف . والتي من أهمها : الإصلاح الشامل للأمة كما أوضحنا.

والهدف الآخر الذي ما فتئ الإمام الحسين(عليه السلام) يذكر به حتى أعداءه هو إعلاء مبدأ (الحرية) باعتبارها الوسيلة المهمة لتحقيق إنسانية الإنسان، و بها يستطيع التعبير عن آرائه وأفكاره ووجوده.

لقد كان الإمام الحسين كثيراً ما يركز على أهمية التحرر من الذل والقهر إذ يقول(عليه السلام) ((لا.. والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد))(٣) ويقول لأعدائه مطالباً إياهم بالتمسك بالحرية: ((إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم))(٤)

فلنتعلم من الإمام الحسين(عليه السلام) كيف نكون من دعاة الإصلاح الشامل، ومن دعاة الحرية والديمقراطية، ولنمارس دور المصلح، ، ولينطلق كل شخص في ممارسة الإصلاح حسب قدراته ومكانته وظروفه، فالإصلاح هو هدف كل الرسالات السماوية، وكل الأنبياء والأئمة . يقول الله تعالى:(إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب)٥/

_____

١ـ بحار الأنوار،العلامة المجلسي، ج٤٤،ص/٢٢٩
٢ـ سورة البقرة: ١١ـ ١٢/
٣ـ الإرشاد، الشيخ المفيد،ج٢،ص٩٨
٤ـ البحار، العلامة المجلسي، ج٤٥،ص٥١
٥ـ سورة هود:٨٨